

الطائفية بين الانتهاكية المتحيزة والبحث عن صيغ الاختلاف

. الصياغات المؤدلجة ومفاهيم الحوار .

أ/ غزلان هاشمي

جامعة محمد الشريف مساعديّة/ الجزائر

إن السمة الغالبة على أفراد المجتمع التنوع والتباين في الآراء والمعتقدات والتوجهات والتصورات، فكل ذات تتشكل هويتها وتحدد مميزاتها وخصائص تفكيرها بالنظر إلى هذا الاختلاف الحاصل بينها وبين الآخرين، وتجنباً لكل عنف أو صراع يؤدي إلى تخريب المجتمع وتهديم مركزاته الأساسية، يبحث الجميع عن صيغة اتفاق تذوب معها حدود الاختلاف وإن بشكل جزئي، لأن الذوبان الكلي ضرب من الاستحالة التي لا تقرها العقلانية الإنسانية، كونها في حالة إقرار بطبيعية الاختلاف وبأنها حالة تدل على إنسانية الإنسان وعلى كينونته المستقلة عن باقي الكينونات المتجاورة معه زمكانياً. لكن الإشكال الواضح يتمثل في تعمد الخطابات إلى استخدام ترميمات جاهزة في سبيل بناء موضعية مركزية، حيث تركب صوراً تبخيسية للآخر في مقابل تضخيم الأنا وموضعتها في شكل متعال، ومن ثمة يصبح الصراع صراع خطابات، إذ تعمد هذه الخطابات إلى بناء تحيزات أيديولوجية في شكل مضمّر، وتعد المسألة الطائفية واحدة من التروضعات الخطائية التي تستنفذ كل شعارات التآله وتستعير مفاهيم الفوقية مع انتقاص المغاير وتهميشه ومحاوله تغييبه واستبعاده أو تصفيته فكراً، حيث تعتمد على الانتقائية التي تضفي إلى حالة من التشويش على مستوى الوعي وإلى حالة من الإرباك على مستوى الهوية والزمن الواقعي بسبب الصياغات الأيديولوجية الجاهزة لمستوى العلاقة التراتبية بين الأنا والآخر، ومن ثمة تتحول الحروب الكلامية ويتحول معها العنف الرمزي إلى عنف واقعي يشل مفاهيم التحاور والتعايش .

بناء على ما قلناه:

كيف يتم تصور الحقائق وإدراكها؟ ماهي نتائج النظرة الأحادية للأمور؟ ماهي الآليات الخطابية التي تتعمدها الجماعات الطائفية في بناء انوجادها وإعادة صياغة مدركاتها؟ كيف نقضي على الجاهزية والصفة التبجيلية والتقدسية لمتصورات الذات أو كما نسميها الصور النمطية؟ وبصيغة أخرى: كيف يمكننا التخفيف من العنف المنتج من الطائفية والاصطفائية؟.

إذن يكتسي الموضوع أهمية كبيرة مع كل التغيرات الحاصلة، ومع تأجج الخلافات الطائفية في بلدان عربية كثيرة.

ويهدف إلى التعميق من الإحساس بخطر النزاعات الطائفية، وبقيمة الحوار الذي يحترم حدود الآخر في ظل احتفاظها بخصائصها النوعية.

كانت دوافعنا في اختيار الموضوع تسير نحو منحنيين:

منحى موضوعي: وكنت أبحث إليه في تقديمي للموضوع، إذ الاصطفائية ووهم الأيديولوجيا وكذا النزعة الأحادية الضيقة أسهمت في إرباك الزمن العربي وتشويشه من خلال تعزيز النعرات الطائفية التي أغرقت البلدان العربية في أبحار الدم .

أما المنحى الذاتي: فيتمثل في مدى تماشي الموضوع مع توجهاتي الفكرية، إذ شكل هاجس المغايرة سؤالاً جوهرياً، حول مدى إمكانية تقديم حل للعنف الطائفي.

الحقيقة حينما تتحول إلى صناعة أيديولوجية:

صياغة الأقليات:

يتوجه المدرك الشخصي نحو صياغة الآخر المختلف بصور مختلفة، ولكون الصياغة فعلاً منتجاً تتحكم فيه الأهواء والمرجعيات المختلفة بما تحمله من تحيزات أيديولوجية، فإنها تجانب الواقع وتجاوزه من خلال النمذجة، لذلك تتحول الأقلية في المجتمع إلى حالة خطابية أو حضور كلامي أو متخيل يركز على الانتقائية والتوجيه الأيديولوجي، ومن هنا تضم هذه الحالة رغبة في الإقصاء والتهميش في مقابل رسم موضعية مركزية ومتعالية للذات، "فإذا كان الأنا المتعالي هو من يكون

كل حقيقة، ومن ضمنها حقيقة الغير، فالغير ليس موجودا إلا بالنسبة لي، وبذلك يرجع الغير إلى التمثل الذي أخصه فيه. عندها أكون أنا هو الوعي المكون الذي يطرح كل غيرية، ويطرح كل حقيقة تجاهه (شيئا كان أم شخصا) بوصفها موضوعا¹. إن الأقلية صيغة إدراكية متخيلة تعتمد التمييز الجاهز وتأسس على النزعة الوثوقية، لذلك فهي تأخذ شكل فاعل خطابي يتجه نحو منحيين متضادين: الأقلية المضطهدة التي تعول على خطاب الضحية وذلك بإيهام الرأي العام الدولي وحتى الداخلي ومؤسسات حقوق الإنسان بدونية الحضور المسيح بذل واهم، إدراكا منها أن هذه الصيغة ستجلب على الأكثرية صخبا من كل غيرية مركزية، فتكون بالتالي حالة مبررة للتدخل والانتهاك، وهذه الصيغة يمكن تسميتها بالنمط الاستعادي لأنها مأخوذة من تموضع اليهود جيرا في فلسطين بعد استعمالها.

الأقلية الفاعلة والتي تسيح بالتهويل (عادة يتم إسقاطها على الأقلية المرتبطة بالغرب) و تعول على صيغة التضخيم أو المركزية المفتعلة: حيث تتم استعارة الرؤية الاصطفائية عن رؤية الغرب لأنفسهم، من كونهم مركز الحضارة، من هنا فالأقلية الغربية في دول العرب تجد مبرراتها من هذا الشعور بالفوقية فتحاول الضغط على الدول المضيفة، والتحلل من كل الضوابط القانونية وتجاهل كل القيمات السائدة مع فرض قيم مغايرة هي القيم الغربية تمييزا للمنظور السائد، وذلك بتعديل كل الصور الموروثة والتغاضي عن ارتباكاتهما وتناقضاتهما، من أجل برمجة الجيل القادم على تقبل الآخر والاعتراف به بشكل كلي، حيث يتم الأمر باستخدام آليات خطائية مختلفة، منها: آلية الطمس: حينما يتم إلغاء كل العداة التاريخي القائم بين الإسلام وباقي الديانات، وطمس حقيقة الأهداف الاستعمارية والتمويه عليها. وآلية إعادة التشكيل: وذلك بتعديل الصيغة الحوارية بعد استخدام مفاهيم التعايش السلمي والتسامح والمساواة حسب منظورهم الخاص، حيث تتبدى وراء هذه المصطلحات رغبات مبطنة لتميع الصيغة العدائية وهيكلتها بما يساير العقل العربي، من هنا وجب علينا التأكد أن الغرب " مهما حضر وانتشر وأثر ليس

العالم، بغض النظر عن تواضع المستوى الذي يبدو به الكثير من أجزاء ذلك العالم بما يوجع به من ثقافات وشعوب مختلفة"2.

يرتكز الوعي على بعد انتقائي وهو ما يجاوز التفاوت غير التراتبي الذي تكرسه التعددية داخل المكان(المنافي للتعددية داخل الزمان)،لأنه يروج لصيغة اصطفائية ولعنف خطابي وهذا ما يثير إشكال التعارضات ومأزق الحوارية المنبثقة من الأحادية المغلقة التي تعبر عن ذاتها في شكل تنميط جاهز يعيد للذات وهم التآله وأيديولوجيا الاصطفاء....معظمنا يتحدث عن المأزق في صيغته الجيلية، وكأن الاستبعاد والاقصاء هو ما يهدد الذاكرة وهم التموضع المركزي الممتد في الزمان والمنشغل بوهم الديمومة....وقليل من ينتبه إلى أن الإشكال هو في المثول المتعدد مكانيا، حيث كل يسعى إلى موضعية أولى لا يحتمل معها فعل التجاور ولا يتقن في دائرتها فن الحوار...لذلك "من المهم في الانتماءات القهرية: الانفتاح والانسجام، وأعني بالانفتاح أن نحذر من الانغلاق الثقافي أشد الحذر، إذ لا ينبغي أن نظور أي أدبيات وأية مفاهيم جوهرية لأي انتماء في عزلة عن الانتماءات الأخرى، فإذا كان الواحد منتما لجماعة . مثلا . فلا ينبغي لذلك الانتماء أن يكون معزولا عن الانتماء للقبيلة والوطن والأمة والإنسانية جمعاء.."3.

آليات تغيير الحقائق:

يتشكل الوعي الإنساني من منطقة محايثة بمحاذاة الذات المركزية، حيث يطرح فيها جميع المتجاورات باعتبارها عرض زائل، لا أهمية لوجوده إلا بما يحقق تجانس الذات، وأما دخوله كمدرک مغاير يوقعها في مأزق التداخل بين الاعتراف والرفض، من هنا وجب إقصاءه من جملة المدركات وطرده ناحية اللاوعي أو الوعي المتذبذب، حيث يتم اختزاله إلى صورة منتقصة أو واقع افتراضي هزيل واختراق كينونته بتحويلها إلى جزئيات متخيلة وإدراكات جزئية منتقاة من الكل بحسب ما يخدم الذات، ويتم ذلك من خلال آليتين: التعقيم والاستقطاع

1. الاستقطاع: ونعني به فصل الصور عن بعضها البعض أو عن سياقاتها، أو ما يسمى بالإدراك الجزئي للظاهرة، حيث يعمل العقل على الاحتفاظ بالأجزاء المتخيلة التي تناسبه وتناسب رغبته، لتتحد الرغبة مع التخيل، إذ يتم تغييب إدراك الظاهرة إدراكا كلياً، وهذا الأمر يؤدي إلى معرفة ناقصة تفتقد الموضوعية، لأنها تهمش أو تلغي أجزاء محددة من الصورة الإدراكية وتقوم بعملية انتقاء. هذه العملية تنطوي على تحيز واضح لجملة اعتبارات على حساب أخرى قد تكون في مضامينها أقرب إلى الصواب، ومن هنا يتم تغييب الحقائق والتلاعب بها بما يناسب ميول الذات وأهوائها. إذن فهذه المعرفة قاصرة مشوهة لا تدل على حقيقة الموضوع وإنما على جزء منها فقط، وهذا الأمر يصعب من عملية الإدراك الحقيقي وينتهي إلى تلاعب واضح بالحقائق، من هنا فوعينا بالحقيقة يكون وعياً ناقصاً غير متكامل.

2. التعميم: ويقصد بالتعميم إلغاء كل الصور الإيجابية، حيث يهدف الأمر إلى التعمية بإقصاء الحقائق إقصاء كلياً، وهذا الأمر يؤدي إلى ما يسمى باللامعرفة، حيث تغييب المعرفة بشكل تام، فالذات هنا تدرك ما للآخر من مميزات لكنها تتجاهلها من أجل بناء نسق معرفي منغلق عن الآخر، لأسباب أيديولوجية وسياسية واجتماعية...، حتى لا تفسح المجال للذوات المتجاورة التي من نفس نسقتها المعرفي أن تتعرف على عوالم الآخر، ليبقى الشك والحذر والكرهية لغة هذا النوع من الذوات، وهنا تتم أدلجة العقل وأدلجة المعرفة وأدلجة التاريخ....

تعريف العنف:

يعرف العنف بكونه "كل سلوك . فعلي أو قولي . يتضمن استخداماً للقوة أو تهديداً باستخدامها لإلحاق الأذى والضرر بالذات أو الآخرين، وإتلاف الممتلكات لتحقيق أهداف معينة"⁴. أو يمكن اعتباره "إيذاء أو تدمير الجسد أو

العلاقة يقوم به شخص تجاه آخر أو جماعة تجاه أخرى⁵. والعنف الطائفي أحد أوجهه إذ يجسد غريزة العداة في طائفة محددة ناحية طائفة أخرى. وتتعدد دوافع العنف الطائفي "إذ يجسد غريزة العدوان أو منطلق التفاضل أو إرادة التسلط أو عقلية الإقصاء والاستئصال"⁶، ومن هنا فالعماء الأيديولوجي والتطهير العرقي الذي تحركه اعتبارات مركزية يزيد انتشاره كلما تراجع مفاهيم الحوار والاختلاف والمشاركة الفعالة، وكلما سعت الذات إلى تضخيم اعتباراتها بدافع المقاومة، لذا تنتج خطابات عدائية وتعتمد في ذلك صياغة فوقية متعالية لا تدل على حقيقة الذات بقدر ما تعكس نمط التفكير المتحيز، والذي يرى في كل اختلاف اعتبارا خاطئا لا بد من زعزعة نظامه والقضاء عليه، إن العنف وسيلة الخطابات الوثوقية المغلقة، لكن "لا يكون الفكر الوثوقي الدوغمائي إذن عنيفا بما يترتب عليه من أعمال وما يصدر عنه من أقول، وإنما بما هو ينشد، أو لنقل بما هو ينشد إلى ما يعتقد أنه طبيعي مسلم به. العنف هنا عنف بنيوي. إنه مبدأ وليس نتيجة، إنه نسيج الفكر الدوغمائي. وهو غالبا ما يتقوى ويتضاعف حينما ترتبط الوثوقية أيضا بالتشنج واحتكار الحقيقة وقمع الآراء المخالفة"⁷، ولو أن الباحث رجب أبودبوس يجد أن "الذين يلجؤون إلى القمع البوليسي والإرهاب الفكري إنما يفعلون ذلك لأنه يعوزهم المنطق والوثائق والحجة العلمية فيحاولون المواجهة من مستواها الفكري العلمي إلى مستوى الإرهاب والبطش وهذا يوحي بأن ضحايا هذا الإرهاب هم الذين على حق"⁸.

الآخر في المتخيل الإنساني:

يستدعي الحديث عن الطائفية تحديدا للغيرية المفترضة على أساس أنها تشكل أساس الأزمة، فمثولها في الوعي الإنساني بصورة النقيض هي التي تؤسس مسافة فارقة وهي ما نسميه بالاختلاف، ذلك أن هذه الغيرية وتحديداتها يتضمن موقفا أخلاقيا بالدرجة الأولى يضاف إلى الموقف المعرفي، من هذا المنطلق نجد أنفسنا إزاء سياقين رئيسيين يحددان دلالات "الآخر" السياق الأول معرفي وعلى ضوءه يبدو الآخر مفهوما تكوينيا للهوية، أي للذات وهي تحدد هويتها، فلا

هوية بدون آخر،..... أما السياق الثاني، فسياق قيمي/أخلاقي يكتسب الآخر من خلاله قيمة أو موقعا في سلم ترانتي يكون من خلاله مقبولا أو مرفوضا، طيبا أو سيئا.. "9. لكن يظهر الإشكال حينما" ينازع كل طرف حق الآخر في الوجود. وتبلغ المسألة ذروتها بإعلان كل فريق عن أن الآخر هو العدو"10. وقد عبر المفكر علي حرب عن هذه الحالة حينما قال: "والصور النمطية السلبية تعبر عن حالة العداء وتجسد استراتيجية الرفض المتبادل، بين الجماعات، سواء على أساس ديني أو قومي أو حضاري، بقدر ما تعكس حالة الجهل الزدوج بالأنا والآخر. ولذا لا تعرى منها جماعة بشرية. ما من مجتمع...إلا ويصنع صورة للآخر على سبيل القدح والتبخيس أو التشنيع والتشويه"11. إن هذا الاتهام المتبادل تعبير عن التمرکز حول الذات والذي عرفه عبد الله إبراهيم بقوله: "تمط من التفكير المترفع الذي ينغلق على الذات، ويحصر نفسه في منهج معين، ينحسب فيه ولا يقارب الأشياء إلا عبر رؤيته ومقولاته. ويوظف كل المعطيات من أجل تأكيد صحة مقولاته"12.

إذن تسعى كل قيمة إلى بناء نموذج خاص متجانس ومنغلق، وحتى تحتفظ لنفسها بصورة الكمون المركزي تحاول تهدم مرتكزات القيميات المغايرة، وذلك بخلق صور نمطية عن الذات أساسها التعالي والفوقية، وعن الآخر أساسها الانتفاص والتهميش، ومن ثمة فكل ما ينبع عن الذات يمثل الخير المحض أو الزمن المتجانس الذي يضيف إلى ثبوتية واضحة واستقرار بنية المتخيل والفكر، ومن ثمة بنية المجتمع الذي هو صورة لذلك الفكر، أما الآخر فهو الشر المحض الذي يهدد هذا التجانس بتشتيت اعتباراته والقضاء على تماسك زمنه وعلى المتخيل الأحادي أو الذاكرة التي تجمعت عناصرها في إطار منغلق، ومن هنا فصورة المجتمع تتفكك مما يشكل تمديدا واضحا لمركزية الذات واصطفائية حضورها، إذ سيضيفي إلى النرجسية التي "تثير النعرات وتغذي النزاعات بين الطوائف، بقدر تجعل الواحد ينام على منجزاته ويغرق في سباته"13.

يبني العالم اعتباراته بالنظر إلى صيغة التعارض، حيث لغة الخلاف والرفض أضعفت من الوعي بالمغايرة، وأسهمت في خلق عالم من التعارضات، من هنا

سعت كل ذات إلى بناء نموذج تصوري واختلاق بعد رؤيوي اعتبرته الحقيقة المطلقة، حيث تغاضت عن ارتباكاتة أو كونه صيغة جاهزة لا تدل على حقيقة الموضوع والذات، وإنما على ما تتصوره الذات إزاء الآخر وإزاء ذاتها وإزاء العالم ككل، وهذا الأمر أدى إلى الاصطفاء والترجسية الفكرية وإلى التعالي والفوقية، إذ كل ذات حاولت تعميم نموذجها بإقصاء المغايرات والاختلافات الطبيعية وخلق هوية أحادية لا تعترف بحدود الهويات الأخرى أو بالخصوصيات المتجاورة، كما سعت إلى نشر قيمها والنظر إليها على أنها الوجه الأكمل والأمثل والذي يجب أن تتمرأى به جميع المجتمعات على اختلافها. وهذا الأمر لا يختلف حدة خطورته عن الإغراق في الذات والانعزال عن الآخر، وقد قدم الدكتور سعد البازعي توصيفا للموضوع من خلال اعترافه بأهمية حضور الآخر وحيوية دوره، " لكن ذلك الحضور يمكن أن يكون خانقا إن هو تحول إلى منظور طاع ووحيد ملغيا الخيارات الأخرى أو مؤديا إلى تهميشها. كما يمكن للآخر أن يكون خانقا أيضا إن نحن مارسنا تجاهه دورا انعزاليا إقصائيا يرفض ذلك الحضور ويتجاهله مؤديا بذلك إلى حالة من الفقر والجفاف الحضاري. فإذا كانت الأولى تنذر بالانفتاح لتخلص في النهاية إلى نوع من الانمساخ أو التشوه، فإن الحالة الثانية تكون أشبه بمرض الاكتئاب أو التوحد على المستوى الثقافي" 14.

مرجعيات النسبية في تصور الحقائق:

إن الذهن البشري عاجز عن إدراك الحقيقة الموضوعية، فالمعرفة الكامنة قاصرة عن استجماع العناصر المدركة كلها نظرا لتدخل مرجعيات مختلفة في صياغتها النهائية، هذا الأمر يجعل من إدراك الحقيقة عبارة عن تمثلات ذهنية متخيلة أكثر منها واقعية، لذلك فهي لا تدل على ذاتها بذاتها وإنما عنها كما هي منجز أو وعي محايث في طور الانجاز، لذلك فتورط هذه المرجعيات في صياغة الحقيقة يوقعها في مأزق النسبية بحكم أن لكل ذات إدراك خاص، م ما يجعلها تنظر إلى الموضوع وفق رؤيتها الخاصة غير البريئة من تحيزاتها أو من إكراهات العالم الداخلي والخارجي المحيط بها. ومن أهم المرجعيات نذكر:

1. الرغبة: يتم اصطناع صور نمطية عن الآخر بحسب مكانته وموضعه من الذات، إذ تتدخل الرغبة والمصلحة في صياغتها وإعطائها بعدا ذاتيا يبعدها عن حقيقتها كذات مقابلة، لها من السلبيات كما لها من الإيجابيات، فإما أن تتعارض الرغبات والمصالح فتكون العلاقة في شكل عداء مطلق ورفض متبادل، وإما تتقارب فتتحول العلاقة إلى صورة تجاور وصدقة....، ومن هذا المنطلق تختلف الصور، ففي الحالة الأولى تضع كل ذات "صورة للآخر على سبيل القدر والتبخيس أو التشنيع والتشويه، بنعته بالكفر والشرك أو البدعة والمهرطقة أو العمالة والخيانة أو الرذيلة والدناءة أو التخلف والمحمجة... وفي الحالات القصوى من العداء يجري التعامل معه كشيطان أو بعبع"15، وقد يتم استدعاء أوصاف تبخيسية من الذاكرة بهدف الانتقاص والتهميش، وأما في الحالة الثانية تكون الصور المركبة متعالية عن حقيقتها، إذ تصل إلى حد الملائكية المزعومة أو التقديس ثناء وامتداحا.

2. التخجيل: إن معظم الأحكام التي نصدرها في حق الآخر خاطئة لابتعادها عن صفة الموضوعية، فحينما يكون الالتهاس صبغة الرؤية الموجهة إزاء الآخر، يعمل التخجيل على إنتاج صور نمطية حدودها التهميش والانتقاص، إذ الجهل بالآخر حينما لا يكون مجاورا للذات يؤدي إلى الانغلاق الفكري والأيدولوجي.

إذن يعمل التخجيل على توجيه مدركاتنا إزاء تمثل الحقيقة وفهمها، حيث يقوم بانتقاء عناصر تخيلية محددة يستمدتها من عدة مرجعيات داخلية وخارجية (المبول . الأهواء . المصلحة..)، ومن هنا فالحقيقة هي ما يتصور في الذات إزاء ماهو خارج عن نطاق تمثلها وخارج عن حدود تشكلها، لذا وجب الاعتراف بكونها وعيا موجها أو تصورا يسيجه التحيز إلى اعتبارات محددة دون أخرى.

الأزمة الطائفية في العراق: الطائفية صياغة الطاغية/العقل الاصطفائي:

الطاغية المثقف:

أسهم بعض المثقفين في تفجير الأزمة الطائفية في العراق، وذلك بإنتاج منظومات فكرية تعول على الانتقائية المفضية إلى الاستعلاء واستبعاد المغاير، إذ تعول على تنميط جاهز أو تشكيلات خطابية في تعبئة الجماهير وتهييج المشاعر وإعادة تشكيل وعيها المركب (إزاء الذات وإزاء الآخر)، وذلك بتفخيخ وسائل التعبير المختلفة الكتب. الأغاني. الأفلام. الإعلام....، "فالأيدولوجية تستطيع أن تخبي في عباءة أفكارا ومقولات معينة وتكسيها حلة المنطق والمعقول، بينما لا يستطيع العلم ذلك. وكلما كانت قدرة المناورة الديماغوجية عالية لجهة الأفكار والنظريات الأيدولوجية وكان الأفراد مهئين عقليا وذهنيا للمفاهيم الديماغوجية، كان المنطق الأيدولوجي أكثر قدرة على الدخول والوصاية الفكرية أكثر ثباتا وتقبلا لدى هؤلاء"¹⁶. إن الوصاية الفكرية التي تمارس من قبل بعض مثقفي العراق والتي يعرفها يوسف نزار على أنها "تحديد أفكار وآراء وعقائد وأيدولوجيات معينة، تفرض من قبل جهة ما على شريحة أو فئة معينة من الأشخاص للتعامل معها وبها حصرا"¹⁷. تسببت في أنهار الدم، وذلك بادعاء امتلاك الحقيقة والتعويل على التفكير المنغلق الراض لكل مغايرة يطرحها باقي الأطراف، ذلك أنها "مصطلح متدرج يبدأ من أدنى درجات الودية والحرص الفكري ذي الدافع العاطفي في اتباع فكرة معينة مفروضة، وينتهي بأقصى درجات الفرض الفكري الذي يتمثل بالقتل والإبادة وسفك الدماء لمجرد القول برأي مستقل منفصل"¹⁸.

السياسي الطاغية: بقدر ما يمكن اعتبار الطائفية نتاج العملية السياسية وتصارع المصالح، فإن السياسي الذي يحتكم إلى الإصطفائية يسهم بشكل كبير في تأجيج الطائفية، ومن هنا تصب العلاقة بينهما في عملية التأثير والتأثر العكسي أو المتبادل، فالسياسي الطاغية يبحث عن نقاط نفوذ خطابية من أجل الحفاظ على مركزه السياسي والقانوني، وهذا يسهم في تقليص مساحة الوعي بالمغايرة. إذن "ليس التمايز الديني أو الأجناسي هو سبب القطيعة الاجتماعية وفقدان الإجماع السياسي إذن، ولكن فقدان الإجماع السياسي الذي لا يمكن

فهو خارج نطاق تحليل السلطة والدولة الحديثين هو الذي يفسر إعطاء التمايز التقليدي الموروث قيمته السياسية الجديدة وتوظيفه في الصراع الاجتماعي: أي الطائفية¹⁹.

رجل الدين الطاغية: فالوصاية الدينية أضفت إلى تعزيز النفور بين الطوائف، وذلك بادعاء امتلاك الحقيقة الدينية ومحاولة السيطرة على الخطاب الديني، لذلك عول رجال الدين في كل طائفة على تعزيز المركزية بالتفسيرات المتحيزة والمستمدة من مرجعيات السرود التاريخية من أجل إضفاء الشرعية وصبغة القداسة على المثل الذاتي، لذلك كان التعويل على ذاكرة انتقائية أو اختلاقات ذاكراتية مستمدة من السياق الاجتماعي والثقافي والسياسي المهيمن. إن "المسافة بين النص والتأويل قد امتلأت بالمصالح المباشرة فضاقت مساحة (السلطة) التي فصلت على قياس الحفنة القليلة من المستفيدين، ولأن السلطة والشرعية تتطابقان فقد تم استبعاد المساحة الأوسع من أصحاب المصالح المغايرة لمصالح السلطة والشرعية. وهكذا سدت أبواب العدل والحرية. وكانت (الفتاوى) تبرر الصواب المطلق وتنظر للخطأ المطلق، فأمكن لتناقض التأويل أن يبرر التذابح وأحمار الدم"²⁰.

الآليات الخطابية التي تتعمدها الجماعات الطائفية في بناء انوجادها

وإعادة صياغة مدركاتها:

أ. إساءة التمثيل وإعادة الصياغة والتكليف: تم تفخيخ تاريخ الصراع الدائر بين السنة والشيعة، إذ تم تمثيله أيديولوجيا بما يساير مصالح الأطراف، فالاختلاف العقائدي/اللاهوتي تم استثماره من أجل تحقيق المصالح السياسية وهذا ما عمق من الخلاف والصراع الدائر، خاصة مع سقوط نظام صدام حسين حيث زاد التنافس على السلطة من الأزمة الطائفية وذلك بسبب اعتماد وسائل استقطاب مختلفة من تعويل على الهويات المنغلقة والتي تهدف إلى جعل المجتمع العراقي يعيش ضمن مجموعات الكيچيتو المنغلق والمتمركز حول الذات، إلى

إساءات تمثيل خطابية تجاوز الموضوعية والحياد. ولعل ما اتبعه نوري المالكي في سياسته من تعزيز الخلاف ليس بين السنة والشيعية الذين زاد في قوة تمركزهم في مناطق النفوذ السياسية، وإنما بين الطوائف الشيعية في حد ذاتها (الصراع بين رجال الدين التابعين لإيران والمنتسبين إلى أصحاب المدرسة الدينية التقليدية بزعامة السيستاني)

لقد تم إنجاز سردية تاريخية متحيزة تحمل مضمرات خطابية عنيفة وتحاول تعبئة الجماهير وتوجيه وعيها نحو تمثل طائفي مركزي محدد، لذلك كانت كل سردية تمهاجم نظيرتها وذلك من خلال الاختلاق المؤدلج لماض عريق وإعطاء صيغة مفهومية للصراع الدائر بما يجعل كل طرف يظهر بصيغة الحق والخير والكمال، وبما يجعل المغاير في صورة النقيض الذي يمثل شرور العالم والذي يجب تصفيته فكرياً وجسدياً من أجل إعادة ثبات المثول الواقعي.

ب. آلية الطمس: أقدم كل طرف على طمس الكثير من الحقائق وتغييبها من أجل بناء تموضع مركزي، ومعها تم تجاهل الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تزايد حدة الصراع الطائفي، والمتمثلة في تزايد التمرد كرد فعل على حل الأجهزة الأمنية والعسكرية العراقية السنية ومحاولة السنة إيجاد صيغة اشتراك مع الحركات السلفية الجهادية ومع الجماعات الإسلامية وكذا مع الجماعات القومية متمثلة في محاربة الاحتلال الأمريكي .

ولو أن هذا الوضع (العنف والعنف المضاد المضيفان إلى حرب أهلية) صنعة اختلافية تفترض مرجعية غيرية، إذ حالة التشظي والإرباك يفيد أمريكا في الحفاظ على مركزيتها وسيطرتها على المراكز النفطية، لأنه يشوش الذاكرة ويوجه تركيزها ناحية الاختلاف لا ناحية البناء والتماسك. حيث تحاول أمريكا والغرب عامة تعزيز المخيال العراقي بالصيغة الاصطناعية التي تركز على خطاب الهويات المنغلقة الراضة لكل غيرية متجاورة.

مفهوم الحوار:

يعد الحوار ضرورة إنسانية، حيث يعتبر مشتركا كلاميا يفترض الآخريّة المغايرة التي تصنع بينها وبين حدود الذات مسافة التقاء، إذ تتجاوز الاحتمالات اعتبارا من عدد المحاورين أو من عدد الآراء عند الشخص ذاته، حينما يمنح تعددية واضحة في طرحه لعدد من البدائل بحثا عن نقطة التقاء بين الأطراف، هذه النقطة أو المسافة هي ما يمكن تسميتها "بالإقناع" أو "الحجة"، والتي من خلالها تتوصل الذوات إلى صيغة تفاهم إما بتقبل الاختلافات على تعددها(في القضايا البسيطة التي يكون فيها الاختلاف أساسا للإبداع)، أو بالاتفاق على أحدها إذا كان الأمر يفترض وجوب الأحادية(وهذا يكون عادة في القضايا التي يؤدي التعدد إلى إثارة النزاعات والحروب). من هنا فالحوار "يعني خلق المناخ الملائم للتفاهم والتعاون الذي يساعد الجميع على توليد توجهات إيجابية أكثر ويضعف بدوره الميول القائمة أو الكامنة لتغذية روح النزاع والعداوة، وبدوره يغدو الحوار بمثابة القدرة على إحداث تغييرات عميقة في طرائق نظر كل طرف إلى الآخر"21.

إذن فمصطلح الحوار يأخذنا إلى مقصدين: مقصدية خارجية حينما يراد بالحوار تبادل الحديث بين متناقضين، ومقصدية داخلية حينما يدل على الحوار الواقع بين أبناء الوطن الواحد أو الدين الواحد. لذا يمكن اعتباره صيغة اتفاق يقصد به التواصل والتفاهم، من أجل الخروج من الرأي المتحيز للذات والقضاء على مركزية الذات التي تهدف إلى إقصاء المغاير وتهميشه، ومن هنا يسهم الحوار في التخفيف من حدة الصراعات القائمة على الاختلاف الديني والاجتماعي والسياسي...، ومن الهيمنة المنتجة عن الرأي الأحادي أو عن مركزية الحضور المفضية إلى التعصب والتصنيفية الفكرية والوجودية

الحوار انتقاء لصفة التحيز:

إن مصطلح "حوار" يفرض علينا التفكير في مصطلح "التحيز" بكل أنواعه، إذ الحوار المنبني على التفاعل واحترام رأي الآخر يؤسس منظورا مغايرا تتراجع معه كل الأيديولوجيات وتنحصر إلى حد التلاشي، وبالتالي فالتجاوز والتعدد يضفي

إلى إقصاء المركزية بعد مراجعة الكثير من المصطلحات والمفاهيم المنتجة في ظلها، وذلك من أجل التخفيف من حدة التحيزات.

إذن يتأسس التحيز على مفهوم الانغلاق وعلى مركزية الأنا وحضورها الدائم في كل الخطابات، حيث يتم تفسير كل الظواهر على اختلافها بالنظر إلى هذه الأنا، وتكون الرؤية أحادية تبعد عن داعي الموضوعية، وهذا كله يؤسس مفهوم التعالي والفوقية بعد أن يتم إقصاء كل المغايرات بالترويج إلى صور نمطية سلبية عنه وعن ثقافته ودينه. وقد قدم علي عزت بيحوفيتش مثالا عن الإجحاف المصاحب لغياب الموضوعية في قوله: "الأسباب تاريخية وللمواجهة السياسية بين المسيحية والإسلام، كثيرا ما تجاهل الغرب القرابة بين الإسلام والمسيحية. إن قبول الإسلام للإنجيل كتابا مقدسا، وقبول المسيح رسولا لله، تم تجاهله أيضا. ولو استطاع (الغرب) التأمل بصدق في هذه الحقيقة واستنبط منها النتائج التي تترتب عليها، فإن العلاقة بين هذين الدينين. العالميين العظيمين. قد تتوجه في المستقبل إلى أبعاد جديدة كل الجدة"22.

دواعي الحوار:

يتأسس العالم على تعددية واضحة، وهذه التعددية تسهم في تزايد الإحساس بالمغايرة وفي وعي الذات باختلافها، فتضفي إلى التنافسية التي تصل إلى حد الصراع، من هنا يجد كل طرف فيمن يخالفه رمزا للخطر وتهديدا لثباته واستقراره، فينجم عن هذا الأمر كثرة الصراعات ونتائجها الوخيمة. فيزداد العنف بل ويتعدد بين عنف جسدي وفكري ورمزي، والآخريه تجد تمثيلاها بين أفراد المجتمع الواحد أيضا، لتصبح كل ذات متعالية بوجودها مكثفة باعتبارها، ترى في الآخر خطرا يجب إزاحته، وهذا كله ينتج عن تعدد المصالح والهويات، "وقد نشأت عن القول بتفاضل الأجناس واختصاص بعضها دون بعض بالذكاء والكفاءة والقدرة على بناء الحضارات مشاكل ومأس طويلا أعقرت البشرية في تصرفات حمقاء غير معقولة وحروب طويلا"23.

إذن محاولة الدفاع عن مركزية الذات أو تجديد الموضوعية القائمة للذات والآخر، يضمني إلى صراع بسبب إنكار تعدد أساليب الحياة وتعدد القيم والفهم المتأسس على ذلك، كما أن "الإنسان ميال في طبيعته للنزاع مع أمثاله، وذلك من أجل الكسب والمجد أو الدفاع عن أمنه"24، لذلك كان الحوار مهذبا لصورة الاختلاف، وذلك بإيجاد صيغة تعايش قائمة على احترام المخالف (عرقيا ودينيا واجتماعيا وسياسيا)، حيث تنزع هذه الصيغة إلى تذويب الحدود الفاصلة دون طمسها نهائيا، لأن الطمس يهدف إلى قتل الهويات، وإلى إعطاء أولوية إلى مركزية الذات وحضورها المتعالي كما هي في خطاب العولمة، وهذه الصيغة ما سميناها بـ"التذويب المتكافئ"، والذي يهدف إلى إعادة هيكلة الاختلاف، والبحث من خلال صيغته القائمة على تعددية الرؤى والتوجهات على نقاط الاشتراك، حيث يتم استجماع كل الإيجابيات من مختلف الآراء، وذلك تحقيقا لحوار نموذجي لا يتقصد منه إرهاب الأطراف ولا إقصاءها من دائرة النقاش، ولا التعالي عليها وتهميشها، وإنما رفعه إلى مستوى التسوية على محور خطي واحد من أجل عالم مليء بالسلام والحب والخير.

الحوار كصيغة تعايش:

نعني بالحوار التبادل القائم بين الذات والآخر في الآراء والمواقف من أجل تقريب وجهات النظر وتقليص زمن الخلاف، حيث الذات تسعى إلى تأسيس زمن التقاء أو صيغة مشتركة قائمة على التفاهم، من هنا يفترض الحوار الموضوعي إقصاء مركزية الذات وصيغة التعالي، ونبذ التعصب والاحتفاء بالتعدد، فالتعاضد القائم سببه الانغلاق الفكري أو سعينا لتأويل الحقيقة بحسب منظورنا الخاص، حيث نقوم بإقصاء كل التأويلات المغايرة التي تقدم بدائل تسهل من الاقتراب من حقيقة الموضوع، من هنا تكون الحروب كلامية، حروب خطابات أو نصوص منتجة، "لذا، فإننا نميل إلى أن التعارض إنما هو في النهاية تعارض بين ضربين من العقول: عقل مغلق وعقل منفتح. والعقل الأول يميل إلى تقييد النص وضبط معناه وحصر الطريق إليه من جهة واحدة. ومآل هذا العقل الاستبداد بالرأي

والتعصب والعماء. أما العقل الثاني فإنه يرى بان الطريق إلى النص ليس واحدا بل كثير. إذ لا مجال لحصر دلالاته وضبط معانيه. وأصحاب هذا العقل يرون أن الحقيقة واحدة ولكن وسائل التعبير عنها كثيرة والطرق المفضية إليها متعددة. بل يرون أن الحق واحد والحقائق كثيرة. والحقيقة لا تساق الحق دوما وأبدا، لأنها وجه له. لذلك يميل هؤلاء إلى الانفتاح والمغايرة، يستوعبون الجديد ويفتخون على الغير"25.

إذن فالحوار يسعى إلى بناء زمن التقاء تتقارب فيه وجهات النظر، بل يتخفف الخلاف ويتلاشى الاختلاف ليحل محله التعدد، الذي يعني احترام حدود المغايرة والنظر إليها كونها مكملا أساسيا للهوية لا مهددا لها، فليس "الصراع هو المظهر الوحيد لعلاقتنا مع الغير، فثمة تجارب نشعر فيها أننا مع الغير، وأنا نكون جماعة واحدة. فنقول نحن فعلنا كذا.. إلخ، وقد تكون "نحن" في موقع الفاعل من الجملة، فتعبر عندئذ عن مجموعة من الذوات المتعالية ليست الذوات المفردة فيها موضوعا لشيء، وإنما تدرك كل ذات منها الذوات الأخرى باعتبارها ذوات مثلها..."26.

إذن فنحن حينما نتحاور نحاول أن نلغي منطقة التمركز أو أن ننقص منها على أقل تقدير، إذ أن هذه المنطقة التي تتكون من المصلحة والأهواء والمطامع... إلخ، تسعى إلى التغلب على منطقة ما بعد التمركز والاستيلاء عليها والتموضع فيها بشكل كلي، لذلك فهي تصارع من أجل الهيمنة عليها، ومن هذا المنطلق يستطيع الحوار أن يقوم بما لم تقم به جميع محالات التسوية، إذ يعمق الإحساس بالآخر وأهميته ويوسع من منطقة الإدراك الجمعي الذي سمته التعدد والاحتمالية، وهذا الأمر يسهم في القضاء على العقلية الاصطفائية أو الاقصائية، وذلك بتوسيع المدركات نحو تقبل الآخر والاعتراف به، ونبذ الاختلاف المفضي إلى الخلاف، "لأن الاختلاف مدعاة إلى المجادلة والمنازعة، والمنازعة تحمل على التعصب والتحيز، وتورث العداة والبغضاء"27، وقد اقترح علي حرب عدة فكرية جديدة لإدارة الحوارات صاغها في عناوين فرعية هي:

1. "التقى الفكري: ويقصد به الاعتراف بحدود الذات وإمكاناتها بأنها أقل شأنًا من أن تملك الحقيقة.
 2. التواضع الوجودي: ويقصد به نبذ الاستثنائية والعقلية الاصطفائية المركزية للوصول إلى صيغة عيش مشتركة أو ما يعرف بالاعتراف المتبادل.
 3. الوعي النقدي: حيث التقى والتواضع يسهم في خلق هذا الوعي الذي يساعد على اعتراف الذات بأخطائها ومراجعتها مراجعة نقدية.
 4. عقل تداولي: ويقصد به انفتاح كل طرف على الآخر والإنصات إليه، وذلك بطريقة تداولية تنبذ طرح الأفكار بصورة مطلقة ونهائية.
 5. منطق تحويلي: وهذا يعني التزحزح عن صفة المركزية، فالحوار ليس معناه السعي نحو التشابه والتطابق وإنما خلق صيغة تفاهم، وذلك بمحاولة تحويل الآخر وتغييره نحو تقبل الذات واختلافاتها.
 6. عقلانية مركبة: هو السعي إلى فهم الأمور بجميع وجوهها المستبعدة لا بشكلها الأحادي المبسط.
 7. البعد المتعدد: هو النظر إلى الهوية على أنها منجز متعدد، وهذا يسمح بتقبل الآخر والنظر إليه على أنه الجزء المغيب من الذات أو ما يجب أن تكونه.
 8. لغة الخلق: إذ الحوار يحتاج إلى لغة الخلق التي تتأسس بالنظر إلى الكفاءة المتساوية أو من موقع الفعالية المتكافئة.
 9. النموذج الفاعل: فالحوار يحتاج إلى نماذج فاعلة خلاقية تعمل بعقول تواصلية وسطية متبادلة وسلمية.. "28.
- إضافة إلى الحوار وجب التخفف من الرؤية الأحادية الضيقة إلى الأمور، ولا يكون الأمر إلا بتقبل الآخر والنظر إليه على أنه مكمل للهوية، إذ الهوية "لا تنفك إذا عن المغايرة ولا يتعين المثل من دون المختلف. بل كل مثل هو ذات وغيره في آن. كل مثل هو واحد ومنقسم. هكذا يتسلل الاختلاف إلى مملكة الذات وتصبح المغايرة مقوما من مقومات الهوية ويقع الآخر في صميم الأنا"29، كما وجب فهم الذات جيدا "ولا يتم فهم الذات إلا بالمزيد من فهم المسمى بالآخر(الآخر الذي هو أنا بالمقابل، والآخر الذي أتخيله، والآخر الذي

يواجهني، وقد أكونه، والآخر الواقعي، ولكن كما أعتقده..³⁰، وهذا الأمر يجعلنا نفهم أن الانتشار والتوسع لا يحمل في طياته الحق في أغلب الأحيان، إذ كثيرا ما يكون كامنا فيما هو منبوذ ومهمش ومقصي، لذا لا تحمل القلة سببية الابتعاد عن الحق والشذوذ عنه.

كما أنه علينا التعميق من الوعي بالمغايرة والاختلاف لا الخلاف، فليس "الاختلاف بالرأي تشرذما أو فرقة، ولا التعددية انشقاقا، بل هي من عناصر غنى الأمة الديمقراطية، فالأمة الديمقراطية ليس مولودا عضويا موحدا، بل نتاج تفاعل التعددية والاختلاف في إطار سياسي واحد ذي سيادة وجهها الآخر هو المواطنة".³¹

خاتمة:

من خلال هذا البحث خلصنا إلى جملة نتائج أهمها:
 . تعتبر الحقيقة متصورا ذهنيا لذلك تختلف من شخص إلى آخر، وهذا الأمر هو مدعاة للتعدد والتضارب والصراع الطائفي، إذ الحق واحد والحقائق متعددة.

. تضيء الأحادية الفكرية إلى تمركز الذات حول اعتباراتها وسعيها إلى صياغة الحقائق صياغة مؤجلة تبتعد عن حدود الموضوعية.

. ما يسهم في نسبة الحقائق عندنا مرجعيات مختلفة أهمها التحييل والذي يقصد به تركيب صور متخيلة غير حقيقية عن الموضوع والرغبة التي تعني نزوع الذات إلى ما يخدم مصلحتها السياسية والاجتماعية والثقافية....

. تستخدم آليات عديدة لتغيير الحقائق أهمها: الاستقطاع والذي يعني أخذ صور جزئية دون أخرى وتحمل صورة انتقاء غير موضوعي والتعظيم الذي يقصد به إخفاء الحقائق كلها واستبدالها استبدالاً كلياً بما يوافق الذات ويخدمها.

. يسهم التعصب في اختراق الآخر والنظر إليه بصفة منتقصة، إذ يكون محل رية وصورة لانتهاك القيم السائدة، لذا تحاول الذات دوما القضاء على تماسكه

وعلى هويته من أجل الوصول إلى وجود أحادي، وهذا يؤدي إلى تحويل العنف خطابيا إلى مثول واقعي.

. يسهم الحوار في تقريب وجهات النظر وتسهيل التواصل والتعايش المشترك، إذ يخفف من النظرة الأحادية للأمور والتي سببها الجهل بالآخر، لذا يعد حلا ضروريا للقضاء على العنف والتعصب.

الهوامش:

- 1- ميريام ريفولت دالوت: سلطان البدايات بحث في السلطة، ترجمة: سايد مطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2012.
- 2- سعد البازعي: شرفات للرؤية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط2005، 1. ص166
- 3- عبد الكريم بكار: حول المنهج، دار وجوه للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 2012، ص24.
- 4- هيثم عبد السلام محمد: مفهوم الإرهاب في الشريعة الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2005، 1. ص48
- 5- باربرا ويتمر: الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة: ممدوح يوسف عمران، عالم المعرفة، الكويت، 2007، ص5
- 6- علي حرب: تواطؤ الأضداد، الدار العربية للعلوم ناشرون/منشورات الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط2008، 1. ص40
- 7- عبد السلام بنعبد العالي: في الانفصال، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2008، 1. ص29
- 8- رجب أبودبوس: مواقف، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1990، ص68.
- 9- سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط2008، 1. ص37

- 10- دييتر سنغاس: الصدام بين الحضارات، ترجمة: شوقي جلال علي مولا، دار العين للنشر، القاهرة، ط2002، 1. ص 204
- 11- علي حرب: تواطؤ الأضداد، الدار العربية ناشرون/دار الاختلاف، بيروت/الجزائر، ط1429، 1هـ/2008. ص 113
- 12- عبد الله إبراهيم: المركزية الإسلامية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط2001، 1. ص 7
- 13- علي حرب: الإنسان الأدنى. ص 138.
- 14- سعد البازعي: الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط2008، 1. ص 45.
- 15- علي حرب: تواطؤ الأضداد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008. ص 113.
- 16- يوسف نزار: الوصاية الفكرية، ص 2120.
- 17- م.ن. ص 9.
- 18- م.ن. 23.
- 19- برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1979. ص 120.
- 20- غالي شكري: ثقافة النظام العشوائي، كتاب الأهالي، مصر، 1994. ص 274، 275.
- 21- رضوان جودت: صدى الحداثة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/بيروت، ط 1، 2003. ص 132
- 22- علي عزت بيجوفيتش: الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس. دار الشروق، القاهرة. ص 226، 227.
- 23- حسين مؤنس: الحضارة، عالم المعرفة، الكويت، ط2، 1998. ص 43

- 24- عبد القادر محمودي: النزاعات العربية العربية وتطور النظام الإقليمي العربي، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2002، ص40
- 25- علي حرب: التأويل والحقيقة، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص19
- 26- فؤاد كامل: الغير في فلسفة سارتر، دار المعارف، مصر، ص72.
- 27- علي حرب: نقد الحقيقة، ص35.
- 28- انظر تفصيل ذلك في كتاب علي حرب: تواطؤ الأضداد. من ص140 إلى ص144.
- 29- علي حرب: نقد الحقيقة، ص29.
- 30- جان بودريارد إدغار موران: عنف العالم، ترجمة عزيز توما، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ط2005، ص1، ص40.
- 31- عزمي بشارة: أن تكون عربيا في أيامنا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2009، ص1، ص51.